http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1852) السنة السابعة - الاثنين (19) تموز 2010

قاسم عبد الأمير عجام.. وحده القابض على الجمر

احمد خلف

"حين اعاود الكتابة الآن، اجد ان الحياة تضج بالكثير والكثير، وإنها لتتجدد مع التحديات وتبدو رائعة مع كل خطوة في درب الحقيقة".

قاسم عبد الأمير عجام

في كتابها القيم (القابض على الجمر) تقدم لنا د.نادية العزاوي، لوحة عريضة وشاملة، متجانسة ومتسقة الخطوط والزوايا وتحاول عبر هذا الاتساق ان تطرح نموذج ظاهرة المثقف الملتزم، الذي سعى حثيثاً ، لخلق التطابق العضوي وبين السلوك وبين الوعي الثقافي، من خلال سيرة الشهيد قاسم عبد الأمير عجام، وعبر قراءة جادة لمجمل تلك الحياة ممثلة بيومياته، ان د. نادية العزاوي ملأت الكتاب الصادر في بغداد ، باضاءات وجدتها ضرورية، فقد شكلت في طريقها جملة من التساؤلات لعمل من أبرزها لماذا اليوميات؟ أي البحث عن دوافع اختيار اسلوب اليوميات في الكتاب، حيث وجدناها تشكل المتن منه.

وأرى ان الاجابة عن سؤال كسؤالنا تبرزها التوضيحات التي قدمتها د. نادية العزاوي في عبارة واضحة: "..فغدت..كتابتها جزءاً من طقسه اليومي وبلغ ارتباطه بها حالة من التعلق الوجداني.." أذن تلك هي الطريقة المثلى لرصد الواقع وحصره في زاوية واسلوب لايمكنه الانفلات او الخلاص، وربما هي أيضاً نوع من أنواع دحض الموت وربما الاحساس بالخسارة في واقع لا يمتثل الا الى الجانب المضاد من حقائقنا، هنا يمكن للتجربة ان تستوي وتنضج على نار هادئة، نار السياسة التي كبلته بمطاليبها ونار الادب والرغبة في تنفيذ مشاريعه الابداعية، وربما نار الأحداث المتلاحقة والمترادفة التي كان الكثير منا قد دفع من حياته ما يكفي ثمنا لها..

كل ذلك تم رصده عبر اليوميات، فقد ادرك، أهميتها اولاً، ومقدرتها كأسلوب يحاكي فيه البناء الروائي ثانياً، لهذا استمر في تسجيلها في دفتر خاص اليس يوميات الأدباء سجل يقدم خدمة لقرائهم ودارسيهم قبل خدمتهم الشخصية؟ ومن جانبي اعتقد ان يوميات الادباء هي لرصد الزمن ومعرفة حركته ونياته تجاههم وتجاه مستقبلهم.. ها نحن نقرأ ونتعرف من خلالها على تطور الوعي الجمعي للاخرين، وكعلامة دالة للقراءة، يفضل عدم قراءة الكتاب كما لو كان رواية او مسرحية مكتوبة وتعتمد التسلسل المنطقي للاحداث وترتيب ادوار الشخوص في المشهد، ان القابض على الجمر، يفلت من هذا الاسار او التصور القرائي الذي يعتمده بعض الزملاء في اجرائهم قراءة كتب من هذا النوع، فالكتاب يبدو اشبه بدليل عمل لصاحبه وللقارئ والباحث الذي يروم معرفة ما جرى وما حصل في تلك الايام المنصرمة، فقد تعرض الي كل الصغائر والكبائر التي حدثت" لو لم اكن انا هذا الذي عليه الان/ لكان يومي هذا يوماً ليس ككل الايام، اجل ففيه كنت سأدشن درباً جديداً في العلم وتجربة الحياة في مجتمع أوروبي عريق، فهو اليوم الأول من نيسان، اليوم الذي حددته رسالة جامعة نوتنكهام بانكلترا.. يوما لبدء دراستي للحصول على الدكتوراه ، لكن من بيدهم أمورنا رفضوا السماح لي بإكمال شوطي العلمي".. التاريخ ١٩٨٢/٤/١ ص١٧٢.

ترى هل تحصيل العلم يعتبر من صغائر الأمور أم من كبائرها؟ لا احد يقدم مشورة جازمة بهذا الشأن وربما لا نعلم ما سيتوصل إليه القارئ انا اعتبر هذه الأمور من الكبائر بالطبع ، لان حصوله على درجة الدكتوراه في علوم الهندسة الزراعية والبيئية، سيعود على بلادنا بالخير والفائدة، ولكن دعونا نرى كيف يمزج قاسم عبد الامير عجام، الذاتي بما هو عام وموضوعي وبضربة سردية، واحدة :" اذا كان الخامس من حزيران يوم النكسة كما سمي في حينه ، فهو يعود لنا بنكسة لأحلامنا الصغيرة في اجازة العيد أو ربما نكسة لأحلامنا أصلاً فجأة استدعي عصر أمس امرو القصائل، لاجتماع طارئ تشاءمت له انا في سري ، ثم اعلن عن تحركنا الى الجبهة .ص٢٥٧".

من هو الفاعل والمؤثر في حياتنا على الصعيدين السياسي والاجتماعي؟ ذكرى نكسة العرب في حربهم مع اسرائيل أم دخول هؤلاء الفتية ومنهم القابض على الجمر، الى اتون الحرب، والقتال في صفوف ما سمي بالجيش الشعبي؟ ما هو الحدث الصغير وما الحدث الكبير؟ ترى من باستطاعته الجزم بهذا الشأن الذي يخص حياتنا؟ اعتقد ان كاتب يوميات القابض على الجمر، ما كان ينظر الى حياتنا او حياته بمنظارين.. انما الاحداث كلها تدخل تفكيره عبر نظرة واحدة متكاملة ومتجانسة لمجريات الواقع، فه لا يجزئ الحقائق الى اوصال لينتقي منها ما يلائمه ويخدم اغراضه.. ولا أجافي الصدق اذا قلت انني قرأت الكتاب مرتين متتاليتين ، كانت الأولى بدافع المعرفة التي يفرضها فضول الكاتب الذي يريد ان يعرف كيف جرت الحياة مع صديق له؟ وكيف استطاع معالجة الظواهر والمواقف؟ خصوصاً التي فرضتها علينا الحقبة الاستبدادية والقراءة الأولى اخذتني الى القراءة الثانية، دفعتني اليها راغباً في الكتابة علن القابض على الجمر.. ومن هاتين القراءتين توصلت الى استنتاجين ، لعل الاول يتلخص في ان اليوميات ما دامت تبدأ من زمن مبكر هو عام ١٩٦٦ ولغاية استشهاده في عام ٢٠٠٤، أذن يمكن ان يعد الكتاب سيرة جماعية لشريحة واسعة من المثقفين العراقيين وترجماناً لكل انواع المعاناة الفردية والجماعية.. لأن لغة الخطاب والاحداث التي تناولتها اليوميات.. إضافة الى تنوع الحالات والمصائر وكذلك تصاعد خط درامي خطير من خلالها.. وجدنا ذلك كله.. ولا يقف عند حدود الذات الواعية..التي لا تكف تحاور الآخر كما تحاور نفسها.. بل تتجاوز الذات وأشجانها الى الكلي الشامل من الأحداث وصناعها.. وثاني المسألتين او الاستنتاجين، قد يبدو مرتبطاً بالاول او بتحريض منه اذا ما دامت اليوميات (في الكتاب) تنتقل من الخاص الى العام بكل أريحية وترسم لها خطاً أو طابعاً جمالياً، فأن إعادة طبع القابض على الجمر خارج العراق، وفي دور نشر عريقة ومعروفة امر تحتمه الضرورة ، لكي يصبح شهادة أمام الآخرين الذين لا يصلهم الكتاب بطبعته العراقية..نريد وصوله الى ايديهم ليكون شهادة صريحة وصادقة عن الذي عاناه الناس في هذه البقعة المباركة التي اسمها العراق، وكذلك ما تحمله المثقف العراقي ممثلاً بنموذج الشهيد قاسم عبد الأمير عجام ان محتوى الكتاب يدل على نوع وطبيعة بل يكشف اعماق مؤلفه وسريرته وكذلك الحقائق التي يعرضها المؤلف علينا..

لذلك ارى ان الكتاب الذي نعالجه بالقراءة الخاصة هذه هي صفحة او سجل يترجم اعماق المؤلف، وتوصلاته الفكرية والمعرفية، ان مصطلح ثقافة التسامح الذي اصبح شائعاً هذه الايام، سمعت به وللمرة الاولى من قاسم عبد الامير عجام.. يوم التقيته ساعة تسلمه مهماته كمدير عام دار الشؤون الثقافية وطلب مني روايتي.. موت الاب.. وقال ايضاً:

ثقافتنا الوطنية بحاجة الى الانفتاح وعدم العزلة والتقوقع ومن مهماتها الاساسية اشاعة ثقافة التسامح، أي ان نصغي الى الرأي الاخر.. اعتقد كان هذا الحوار في معرض حديثنا عن الثقافة ذات البعد الواحد.. كالثقافة التي ترتكز على البعد القومي فقط وتهمش وتقصي بقية الثقافات الاخرى.. واتفقنا على موعد نلتقي فيه مجددا حالما يعود من الحلة بعد زيارة اضطرارية.. لكنه لم يعد الينا ولم نلتق ذلك اليوم حيث انتظرته وانتظره عدد من اصدقائه وبعض الموظفين.. لم يعد ابداً جاءت عبارة السكرتيرة الصادمة لي: لقد قتلوه في الطريق.

كنت بحاجة الى دهر كامل لأستوعب اعلان موته المفاجئ.. موته التراجيدي.. لماذا قتلوه؟ واي ذنب اقترفه لكي يقابل بالموت؟ كانت الحقائق والمجريات التي يعرفها الكتاب تنضح بروحه السمحاء ونظراته المتألقة مع الناس والموجودات.. كان كتابه الذي اعدته لنا د. نادية العزاوي يشير الى نظرته ونزعته الأخلاقية، بل توفيره الاحساس بالامان لمحاوريه ،لأن نبرة الصوت مبعث الطمأنينة لديه.

لذا فالكتاب يعرض علينا نموذج المثقف الجاد والملتزم ، الذي عركته الحياة وتمرس في تجاربها ومشاربها حياتياً وسياسياً.. ما بين الادب ومنه عموم النشاط الفني، ما بين السياسة ومنها الى عموم النشاط الفكري يتوزع القلب، منذ اكتشف ذاته، ضحى يوم عزيز وما بينهما جرت نهيرات الامل وجداول الطموح فلا الادب اصطفاني اليه ولا السياسة منعتني من تجاوز منطقها في احيان كثيرة، ربما لأنني وجدت طريقي اليها من خلال الادب، بل لعلني اكثر دقة اذ اقول: انني فهمت الادب واحببته من خلال السياسة، اجل هكذا وما زلت احملهما في الصدر مع كل الهموم والامال وبوحي من توحدهما في الوجدان.. ص١٩.

احسب ان رصد الحياة اليومية ومتابعتها بتفاصيلها عبر كتابة وتدوين المذكرات واليوميات ظاهرة ثقافية اتبعها جيل الستينيات، ان لم تكن ظاهرة عراقية في جوهرها واغراضها البعيدة ولعل العمل السياسي يبعث على تحفيز المتابعة ورصد حقائق الواقع من خلال الكتابة المباشرة للاحداث والوقائع ومواقف الاشخاص، أي الكتابة التي تضعف فيها عوامل الفصاحة والبيان والبلاغة والتجويد في اللغة وخطابها الذي يعتمد التورية والاستعارة لأن السياسي يكتب عن الحادثة بصورة مباشرة ويتحاور معها من دون اللجوء الى لغة الابداع، بل يرى المثقف السياسي ان كتابة التاريخ وحدها تعتبر استعارة خاصة بتلك المرحلة التي يتصدى لها خلال مذكراته ، لهذا اعتبرت يوميات السياسيين العراقيين منذ عهد الاستقلال حتى اليوم، سجل سياسي /اجتماعي ، للبلد ولا يخفى ما للمبدع من مقدرة لغوية خاصة في اعطاء يومياته نكهة مميزة لهذا شهدت المراحل المتأخرة من القرن العشرين، المزيد من تلك المذكرات واليوميات، كما ان العديد من الادباء والمبدعين البارزين، باشروا ومنذ فترة ليست بالقصيرة في التباري في كتابة رؤياهم وتصوراتهم الثقافية والسياسية ورصد الاحداث التي عاشوها بكل دقائقها، أو كانوا شهوداً على مجرياتها، غير اننا نلحظ من خلال، يومياتهم ان الكثير من هؤلاء الادباء قد تعرضوا الى فترات من الاضطهاد والتعسف والتنكيل مما ولد لديهم شعوراً بالحيف ازاء حياتهم اذ انعكس هذا كله على كتاباتهم ومذكراتهم الشخصية، وبالطبع لم يكن الشهيد قاسم عبد الامير عجام، بالمثقف التجريدي، الذي لايجيد في حياته اليومية سوى، مطالعة الكتب والمجلات والدوريات ، ومكتفياً بعلاقات اجتماعية محدودة.. بل كان نموذجاً ملتزماً ومثقفاً مشاركاً وفاعلا في الحياة اليومية وقد كشف عن سلوك يحتذى به.. تجاه المواقف والحالات السلبية في الحياة التي تواجهنا على حين غرة، بل وجدناه قد حافظ على سلامة الموقف: "انني فهمت الادب واحببته من خلال السياسة"..

تلك هي رؤيته للثقافة، وذلك تصوره عن العلاقة العضوية بين الادب والسياسة ومن الواقع ان وعيه السياسي، كان مرشده في انتقاء مكونات ثقافته وتحديد عناصرها، ومن الطريف انني ، في هذه اللحظة او النقطة التي اشيد وابارك فيها حسه الاخلاقي الملتزم، انتبهت الى انني لم اكن مكتفياً بكتابة اسمه الاول فقط.. وفي الفقرات التي يفرض على الكتاب كتابة اسمه، بل كنت اكتب اسمه الثلاثي كاملاً ، واغلب الظن ان يعود ذلك الإصرار التلقائي عن ذكر الاسم الكامل له، انما اريد اغاضة قاتله، في ان هذا الاسم (قاسم عبد الامير عجام) لايمكن اختصاره او قتل احلامه التي تركها لنا في سجله لرواية مقبلة.. ان الفيلم او الرواية اللذين أشير اليهما لا يحتاج أي منهما الى كثير عناء ، خصوصاً كتابه سيناريو فلم، اذ سيرى من يطلع على محتوى الكتاب ان كل شيء قد تهيأ الى العمل مسبقاً وان الموضوع لايملك الا ان يشير على ما يفتش ويبحث عن عمل فني في مضمار السينما، ليتحقق احد الاحلام التي راودت الشهيد قاسم عبد الامير عجام ردحاً من الزمن، اسوة باحلام اخرى لم تر النور، ولقد اشارت د.ناديه العزاوي الى أهمية الأحلام في حياة، القابض على الجمر.

أم يشترك الاثنان بتحطيم القلب الإنساني المليء بالهموم؟ وعلينا الا نهمل التاريخ ١٩٨٦/١٢/١٣ يعني ان الحرب مع ايران قائمة على قدم وساق كما يقال ، بل اصبحت في اعلى درجات العنف وزيادة الحرائق.. ومع تلون نكهة الخطاب وتعدد التوجيهات والاحداث والشخوص واللوحات التي ترسمها صفحات الكتاب، أدركنا ان القابض على الجمر، يصلح ان يتحول الى سيناريو فيلم سينمائي، يشير الفيلم الى ما عشناه وعانيناه في تلك السنين، وكيف دفعنا الثمن، والتساؤل حول السيناريو يدفعنا نحو سؤال آخر لا يقل عن الأول مشروعيه: لماذا لم يكتب يومياته على شكل رواية؟ وما هي الموانع التي كانت تقف حائلاً أمام كتابة تلك المادة الغنية في عمل روائي؟ : "اليوم بدأت واحداً من مشروعاتي الصغيرة: قراءة الرواية الفرنسية قراءة منظمة كخطوة لقراءة ما يمكن من الروايات العالمية. ص١٦٩

اذا لم يكن عالم الرواية الحديثة ببعيد عنه أو انه لم يكن مهيئاً بصورة منظمة لكتابتها وهو صاحب التجربة الحياتية الواسعة، ولاشك ان اولى ضرورات العمل الروائي ان يستند السارد فيها الى تجربة خاصة ذلك، لأن التجربة كفيلة بتحريك المخيلة وفكها من اسارها، وغالباً ما يعلن العديد من الادباء عن اعتزازهم بتجاربهم كما ان الثقافة الجيدة كافية لكي تمنح الرواية فرصة المزج الاريحي بين واقعية التجربة وبين المخيلة التي ستلطف من حدة التجربة وخشونة اللغة، وسوف يتجسد جانباً من هذا في القابض على الجمر، وذلك في الصفحات التي اسمتها د. نادية العزاوي بـ : ببلوغرافيا، وحسنا فعلت حين افردت عدداً من الصفحات لهذه السيرة التي تبدأ من صفحة ٤٥٣ ولغاية صفحة ٤٩٥ ويفضل القاء نظرة كافية على ص٤٨٤ بالذات، ليرى كيف يتمتع صاحب هذه اليوميات بميزة التفرد في مجال تخصصه العلمي الذي تميز به هذا المهندس الزراعي، الحاصل على اكثر من اكتشاف وابتكار في علوم الهندسة الزراعية والبيئية.. والحق كنت خلال القراءة وكلما ابتدأت صفحة جديدة او فقرة جديدة أخرى، اقول من هنا ينبغي للرواية ان تبدأ ، ففي كل جزء أو فصل من الكتاب مدخل لرواية مقبلة.. ان الفيلم او الرواية اللذين أشير اليهما لا يحتاج أي منهما الى كثير عناء ، خصوصاً كتابه سيناريو فلم، اذ سيرى من يطلع على محتوى الكتاب ان كل شيء قد تهيأ الى العمل مسبقاً وان الموضوع لايملك الا ان يشير على ما يفتش ويبحث عن عمل فني في مضمار السينما، ليتحقق احد الاحلام التي راودت الشهيد قاسم عبد الامير عجام ردحاً من الزمن، اسوة باحلام اخرى لم تر النور، ولقد اشارت د.ناديه العزاوي الى أهمية الأحلام في حياة، القابض على الجمر.

من البرج العاجي

تعتيم!

فوزي كريم

في حقل نشر الشعر في الستينيات كانت دورُ النشر المعروفةُ تنصرف لأصوات جيل الرواد الأسبق. كان شعراؤه حينها أقل من أعمارنا اليوم بكثير. أما جمهور الشعر فظل يعتمد، بحكم القاعدة الدائمة، وأسوةً بدور النشر، على الكتاب الشعري معياراً للتقييم. كنا ننتظر مفاجآت دار "الآداب" ودار "شعر"، وإعلاناتهم عن الإصدارات الجديدة في مجلاتهم المعروفة. عبر الكتاب وحده عرفنا، نحن العراقيين، خليل حاوي، عبد الصبور، حجازي، يوسف الخال، أدونيس، أنسي الحاج، وعشرات آخرين. وكنا قد عرفنا عن قرب شعراءنا العراقيين: السياب، نازك الملائكة، البياتي، بلند الحيدري، حسين مردان، بالطريقة ذاتها.

حين عززت "ظاهرةُ المهرجان" دورها الطاغي (وكانت مبادرة سلطة البعث في العراق حاسمة في خلق هذه الظاهرة، ثم شاعت محاكاتها من قبل الأنظمة العربية!) أصبحت هي بديل الكتاب، وأصبحت دور النشر، هي ومنشوراتها الشعرية وجمهورها، تتمسح بأذيال المهرجان.

فورة الستينيين نضجت قبل هيمنة ظاهرة المهرجان هذه. كُتبُنا الشعرية الأولى طُبعت على حسابنا الخاص. وكان هذا السبيل مُتطابقاً بصورة كبيرة مع طبيعة الفورة المحتفية بالنفس. كنا نحتفي بما يصدر عن دور النشر الكبيرة في بيروت، ونحتفي بما يصدر لشعراء جيلنا، بالمقدار ذاته من الحماس. كلا الإصدارين من كتب الشعر يُقرأ بعناية، ويُناقش بحماس في المقاهي، أو في الصفحات الثقافية.

"ظاهرة المهرجان" ــ المخلوق العراقي الشائه! ــ بدأت تحتل دورها في السبعينيات، ولكن لا على الأرض العراقية وحدها، بل في عموم العالم العربي، بفعل هوس سلطة البعث بالبعد القومي. والهدف من هذا البعد القومي سياسي بالتأكيد. كان جيلنا المسيّس ينتسب لليسار الماركسي في الأعم الأغلب. ولقد بدأ مشروع هربه إلى الخارج في وقت مبكر، وكان على مرحلتين: الأولى إلى لبنان بعد انقلاب البعث في ١٩٦٨، والمرحلة الثنية صار الهربُ إلى كل مكان في العالم العربي والغرب بعد ١٩٧٨. كان هذا الهروب مُتنفساً مريحاً لمشروع البعث الثقافي: التخلص من مثقفي المعارضة العراقيين بالترهيب. وتكثيف الجهد في كسب المثقف العربي بالترغيب المالي. كانت خطة أكثر من ناجحة، وأكثر من مُثمرة. في الداخل اكتفوا بشاعرين بعثيين: حميد سعيد، سامي مهدي. ولم يستطع خالد علي مصطفى اللحاق بسبب ضعف انتسابه إلى الحزب، وضعف انتسابه إلى الشعر! بنوا لهم صرحاً في الإعلام الثقافي، أصبحوا بفعله عمالقة. لا في العراق، بل في العالم العربي كله. كُتبت عنهم المقالات والكتب في كل ركن من هذا العالم العربي، وصارت قاماتهم داخل بهو المهرجان العربي تخترق السقف الشاهق. وبالمقابل وُضعت أسماؤنا، نحن الهاربين إلى المنافي، في قائمة الممنوعات في العراق، وفي قائمة المنسيين في العالم العربي. كنت حين اتصل بالدكتور سهيل إدريس من منفى لندن، لأعرض له كتاباً جديداً لي للنشر يعتذر بحرج، لأن سوقه المعتمد في العراق، وكتابي لن يدخل العراق! وحين أخرجت سلمى الجيوسي مختاراتها الضخمة من الشعر العربي مترجمةً إلى الإنكليزية، أهملت قصائدي جانباً، معتذرة لي بأن الكتاب مموّل من قبل وزارة الإعلام العراقية، ومُهدى إلى السيد وزير الإعلام!

قائمة الممنوعين والمنسيين عن حضور المهرجان، صاروا بالضرورة ممنوعين ومنسيين من قبل دور النشر طبعاً. أصبحت أسماءُ أهم شعراء العربية من الجيل الستيني (باعتراف شعراء ونقاد العربية) في المنع، والظل. وبدأت بذلك أزمة نشر بالغة القسوة. القسوة التي شلّت كثيراً من المواهب الرائعة عن النشاط والمواصلة، بفعل اليأس، من أمثال مؤيد الراوي، عمران القيسي، عبد الرحمن طهمازي، جليل حيدر، رياض قاسم، وشريف الربيعي. أما نحن الذين بقينا على شيء من المواصلة: حسب الشيخ جعفر، ياسين طه حافظ في داخل العراق، وسركون بولص، فاضل العزاوي، عبد الكريم كاصد، وأنا خارج العراق، فلم تشفع لنا مواهبُنا لدخول مهرجان شعر عربي، أو دار نشر عربية. إلى أن توفرت دور نشر عراقية في المنافي، وفي الداخل بعد التغيير!

العربي في روايات امادو

ترجمة / عادل العامل

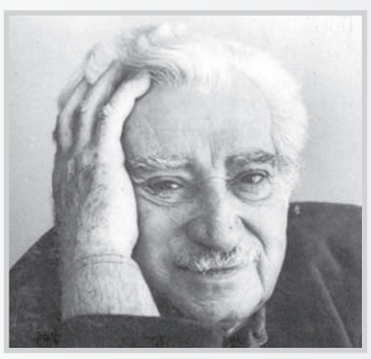

تزخر روايات الكاتب البرازيلي الشهير جورج أمادو بعالم من الرجال الأشدّاء و النساء الشهوانيات الجميلات ذوات الشخصيات القوية.. نصّابين، و أبطال، و كولونيلات، و عمّال، و أمّهات، و زوجات، و صديقات، و عاهرات. إنها سلسلة من الشخصيات التي أصبحت أكثر غنىً و إمتاعاً مع إدخال عرب و منحدرين منهم في الحبكات التي قام بتأليفها جورج أمادو، أحد أشهر الكتّاب البرازيليين، كما تقول إيزابيلا باروس في مقالها هذا. و هو واحد من الكتّاب الأكثر موهبة حين يتعلق الأمر بوصف أهل موطنه و المشاهد الطبيعية، في ولاية باهيا، في شمال شرق البرازيل. و كان جورج أمادو، و هو مؤلف ٣٢ كتاباً، الروائي البرازيلي الذي سلط الضوء على المهاجرين من الشرق الأوسط، كما كانت الحال مع السوري نسيب، صاحب حانة غابرييلا في عام ١٩٥٨. و كما توضح آنا راموس، أستاذة مدرسة اللغات في جامعة باهيا الفيدرالية، " فإن جورج أمادو قد أعطى مكاناً و شأناً لشخص العربي بيننا، مصوراً إياه كجزء مكمّل لقوميتنا وثقافتنا ". و تضيف إلى ذلك " أن قصة الحب بين المهاجر السوري نسيب و المرأة الهجينة غابرييلا قد سحرت القرّاء في مختلف أنحاء العالم ".

و وفقاً لمديرة (مؤسسة بيت جورج أمادو) في سلفادور، عاصمة ولاية باهيا، ميريام فراغا، فإن نسيب هذا بالتأكيد أشهر شخصية قصصية عربية أبدعها الكاتب، لكن هناك مَن هم بالدرجة نفسها من الأهمية، مثل فاضل عبد الله، في توكايا، غراند (المكاشفة Showdown ١٩٨٤)، و فؤاد معلوف، في (فرادا ...). " و كمعيار لإعجاب المؤلف بالعرب، الذين غالباً ما يُشار إليهم خطأً بالتُرك في البرازيل ، يمكن أن نذكر كتاب A Descoberta da América Pelos Turcos (كيف اكتشف التُرك أميركا، ١٩٩٤) الذي يصور شخصيات لا تُنسى مثل آدما، و رضوان مراد، و جميل بشارة "، كما تقول مريام، التي تضيف إلى ذلك أن روايات الكاتب قد تُرجمت إلى ٤٩ لغة و بيعت في ٥٥ بلداً. و تشتمل مجموعة هذه المؤسسة على نسخ عربية من (قباطنة الرمال) ١٩٣٧، São Jorge dos Ilhéus، ١٩٤٤، (غابرييلا ...) ١٩٥٨، (دونا فلورا و زوجاها) ١٩٦٦، (خيمة المعجزات) ١٩٦٩، و غيرها.

إن عدد الأعمال الأدبية المترجمة إلى اللغة العربية لم يكن مرتفعاً، لأن أمادو لم يكن قريباً كثيراً من المجتمع العربي. فمن أين إذن يأتي هذا الانجذاب؟ تقول آنا " إنه ينبع من روابط الصداقة بين أفراد أسرة المؤلف و مهاجرين من أسر شرق أوسطية استقرت في باهيا، مثل آل نزال، آل آدم، آل مداور، و غيرهم .. كما يجدر إلقاء الضوء على الصلات التي أقامها منذ أيام طفولته مع ممثلي الناس العرب، من خلال باعة الشوارع، الذين اعتادوا أن يأتوا بالأحلام و ' الحضارة ' إلى حقول الكاكاو ".

و لقد كان الكاكاو، بالمناسبة، هو الذي انتهى بهذه الجماعة من الناس للاستقرار في باهيا، و هي الولاية التي تقع إلى جنب ساو باولو، و ريو غراندي دي سول، و بارا و تستقبل معظم المهاجرين، الذين بدأوا يصلون البرازيل في أواخر القرن التاسع عشر. و وفقاً لبروفيسور التاريخ أوغستو سبينولا، " فإن صعود الاقتصاد القائم على الكاكاو قد عزز التجارة في إقليم باهيا الجنوبي ، الذي اجتذب العرب بدوره. و الآن فإن هناك حتى في فيرا دي سانتانا، في شمال شرق الولاية، سجلات لأسر من أصل عربي ". أما بالنسبة لبروفيسور التريخ و منسّق مركز التوثيق و الذاكرة الإقليمية في جامعة سانتا كروز، أندريه لويث روسا ريبيرا، فإن العرب الذين استقروا في باهيا اعتادوا العمل بشكل رئيس في التجارة، لكن البعض منهم امتلكوا أرضاً، و كان لآخرين مع هذا مشاركات قوية في النشاط السياسي المحلي. و إلى جانب النشاطات الاقتصادية، وفقاً له، فإن الميراث الرئيس للحضور العربي في الولاية كان الطبخ. " فأنت يمكنك أن تأكل الكبّة في أية حانة في مدينة إلويس Ilhéus، و أشهرها تلك التي في حانة فيسوفيو، التي تظهر في رواية (غابرييلا) و قد وُجدت بالفعل على صعيد الواقع، و ما تزال حتى يومنا هذا في المدينة. و قد كيّف أولئك المهاجرون أنفسهم للثقافة المحلية بصورة سريعة جداً " كما يقول أندريه.

و هذا التكامل على وجه الدقة هو الذي يعكسه أدب الكاتب. " فشخصيات مثل نسيب و فؤاد عبد الله، و شخصيات أخرى مفعمة بالدعابة و المرح، تمثل قيمتين تشكلان، برأي المؤلف، الأمة البرازيلية، : و هما الكدح و التضامن "، كما تقول آنا. " و بالنسبة للمؤلف، فإن وجدان الهوية القومية متشكل من خلال التنوّع ". و هذا التنوّع نفسه هو الذي مكّن باهيا و جورج أمادو من الترحيب بالعرب بأذرع مفتوحة.

عن / brazzil

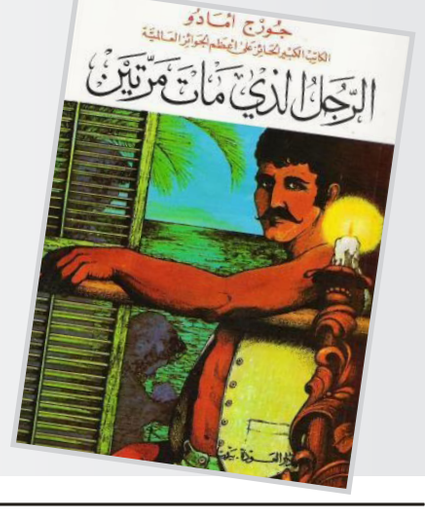

إرنست همنغواي في " القتلة " ..

قصة خطفتها هوليوود لتصنع منها فيلما كبيرا!

أحمد فاضل

على الرغم من ذيوع شهرة روايات صاحب نوبل الكاتب الأميركي الاشهر إرنست همنغواي " وداعا للسلاح " و "لمن تقرع الاجراس " و " ثلوج كليمنجارو " و " الشيخ و البحر " ، وتربعها على أرفف مكتبات العالم وما تزال، إلا اننا عندما وقفنا أمام بوستر فيلم " القتلة " الذي اشترك ببطولته إثنان من المع نجوم هوليوود آنذاك " بيرت لانكستر " و " آفا غاردنر " أصبنا بالدهشة بسبب كون قصة الفيلم تعود لهمنغواي لأننا لم نجد لها مكانا بين بقية رواياته المعروفة ، ومع ذلك فقد استطاعت هذه القصة ان تمنح الفيلم شهرة كبيرة إضافة الى طاقم عمله المتمثلة بالنجم العملاق بيرت لانكستر الذي دخل الى عالم التمثيل من خلاله ، والممثلة الكبيرة آفا غاردنر ومن اخراج روبرت سيدوماك الذي عرف كونه مخرجا لأعمال متميزة وحاصدا لجوائزعديدة ، فقد لاقى الفيلم نجاحا كبيرا في شباك التذاكر حينما عرض عام ١٩٤٦ ورشح لأربعة جوائز أوسكار أولها لأفضل إخراج وأفضل مونتاج لأرثر دي لهيلتون ، وأفضل سيناريو لأنتوني فيلر ، وأفضل ممثل لبيرت لانكستر . القصة كان قد نشرها همنغواي عام ١٩٢٧ حينما بدأ أسمه يلمع في سماء الأدب ، إلا ان احدا من القراء لم يلتفت اليها حتى جاء المخرج سيدوماك بعد تسعة عشر عاما من صدورها ليمنحها جواز المرور الى الشاشة العريضة ، لكنه اخبر ميلر كاتب السيناريو المعروف آنذاك بوجوب تغيير بعض أحداثها في بنى سردية جديدة لها باستخدام " الفلاش باك " ، فاندرسون " السويدي " الهادئ الطباع والمتواضع الذي تختبئ داخله ذكريات أليمة لا يصرح بها ، لكنه بدخول اثنان من القتلة الى بلدته الصغيرة ومحاولتهم النيل منه حيث نكتشف ان اندرسون الهارب من ماضيه له علاقة بهذين المجرمين حينما كان ملاكما يتسابق الناس عليه في لعبة اشبه بالقمار ، وعندما حاول الهروب الى هذه البلدة بسبب تورطه بجريمة قتل لم يرتكبها وجد نفسه مرة ثانية امام ماضيه القاتل الذي عبر عنه قائلا : انه ارتكب خطأ مرة واحدة في حياته ولا مجال للعودة ثانية اليه . من هنا نفهم ان هنالك صراعا حادا سوف تشهده هذه البلدة النائية ومع ان همنغواي قد وضع نهاية مأساوية لقصته إلا ان سيدوماك حاول ان يتلاعب قي تلك النهاية وأصر على ان تكون اكثر دراماتيكية من الأصل ، والذي نريد ان نقوله ان النجاح الذي ضرب فيلم " القتلة " تضافرت فيه جهود قلما نجدها في الوقت الحاضر ، مع محدودية الإمكانات آنذاك إلا انها في النهاية قدمت لنا عملا خالدا لازالت الوانه البيضاء والسوداء تتلألأ وسط كرنفال من الألوان تعيشها افلام اليوم التي تخلوا من ذلك الشعاع الذي كنا نتلمسه ونحن نعيش أجواء ذلك الفيلم .

ان فيلما يكتبه إرنست همنغواي ويخرجه سيدوماك ويمثله بيرت لانكستر وآفا غاردنر ويضع السيناريو له أنتوني فيلر مع موسيقى الموسيقار ميكلوس روزا كفيل ان يضمن نجاحه ، وهذا ما شجع نفس المخرج ان يقدم أفلاماً أخرى لبيرت لانكستر أشهرها " الشعلة والسهم " و " القرصان الأحمر " لكنها هذه المرة بالألوان والسينما سكوب بعد ان قطعت السينما العالمية اشواطا متقدمة في صناعتها .

لم يبق على قيد الحياة من ذلك الطاقم الذي قدم لنا أروع ما أنتجته السينما العالمية إلا لانكستر الذي غادرنا هو الآخر في العشرين من أكتوبر عام ١٩٩٤ودفن بكاليفورنيا بعد ان كان ينثر الزهور عليهم في كل مناسبة فمن ينثر الزهور عليه في هذه الأيام يا ترى ؟

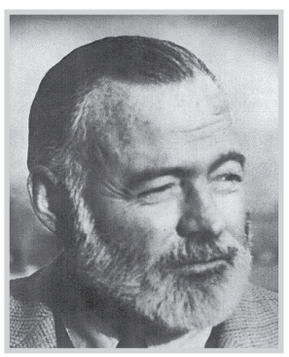

ارنست همنغواي

أصابعي تتكلم جسمكِ يستمع.. أنشودة سومرية عن ابنة النهر

المدى الثقافي

صدرت عن دار الينابيع السورية مجموعة شعرية للشاعر العراقي علي وجيه، تحتوي على خمس واربعين قصيدة حاملة شحنة عاطفية فضل الشاعر الإبقاء عليها حسب قوله لسببين الأول انه لم يرغب بتغيير ملامح مشاعره خلال فترة معينة من حياته ، إضافة الى ان تلك الكتلة العاطفية الهائلة قد تؤذي النص بالنسبة لجمهور النخبة الذين ملوا قراءة النصوص داخل نطاقات ضيقة من الانتشار، ويقول الشاعر انه كتب هذا الكتاب ليفهمه وليشعر به الجميع وبمختلف مستويات التلقي.

من قصائد المجموعة قصيدة انت والنسمة /افكاري تشبه النسمة / كلاهما يمدان الايدي في ثيابك /انت والنسمة اختان/ انت ملمس الندى المضفور جدائل من نكهة للعطور اللذيذة /وقصيدة أصابع ومارسيل خليفة /ليل كالعباءة ينطوي بطيئاً / انتِ وانا ومارسيل خليفة /كنت اردد مع مارسيل خليفة / أمر بأسمك اذ أخلو الى نفسي /كما يمر دمشقي باندلسي ونص (القبلة :لهب الندى) والتي يقول فيه القبلة المسروقة والممنوعة الذ من الف قبلة قانونية وشرعية.

يذكر انه سبق للشاعر علي وجيه ان اصدر ديوانا بعنوان منفائيل وله عدة مخطوطات وشارك في العديد من المهرجانات داخل العراق وخارجه من أبرزها المربد والجواهري والأسبوع الثقافي في طهران.